

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف الذشاشيبي

- ١١ -

ج ١٨ ص ١٦٨ :

لو سمت بقعة لإعظام أخرى لسي نحوها المكان الجديب
قات : (لو سمت بقعة لإعظام تُسمى) والبيت لأبي تمام من
قصيدة في محمد بن عبد الملك الزيات ، وقوله :
ديعة سمجة القياد سكوب مستفيث بها الترى المكروب
وبعد ذلك البيت :

لذَّشُّوبِها وطاب فلو تَسْطِيع (م) قامت فماتتها القلوب
ج ١٩ ص ٢٠٨ : قال المؤيد الألويسي في صفة القلم :

ومثقف يعني ويعنى دائماً في طورى اليماد والإيماد
قلم يقل الجيش وهو عرسمم والبيض ماسلّت من الأعمام

وهبّت به الآجام حين نشابها كرم السيول وهيبة الآساد
قلت : (والبيض) وهذا ظاهر .

(وهبّت له الآجام حين نشابها) وقد جاء (الألومي)
بفتح الحززة في الكتاب ، وهو يضمها كما ورد في (وقيات
الأعيان) . قال ابن خلكان : هذه النسبة إلى أرس ، وهي
ناحية عند حديثة عانة على الفرات . وفي (معجم البلدان) :

(ومهفف^(١)) مكان (ومثقف) وفيه وفي (الوقيات) :
(يعنى ويقنى) ويقنى مثل يقنى ، وعندى أن الأصل (يقنى ويقنى)
قال ابن خلكان : ولقد رأيت هذه الأبيات منسوبة إلى غيره
(إلى غير المؤيد) ولم يقل في القلم أحسن من هذا المعنى
ولبعضهم في القلم أيضاً وهو من هذا المعنى :

وأرقش مرهوب الشبا مهفف بشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقاً ومغرباً وتمنو له ملاكها وتطيع
حى الملك مفظوماً كما كان تحتى

به الأسد في الآجام وهو رضيع
(١) في الفصحى في الكتاب (إرشاد الأريب) ذكرت هذه الرواية .

ظهورهم ويثقل كواهلهم ، فرغبوا في حريتهم وفي حياة الكرامة
والاستقلال ، وأبوا حياة الضيم والهوان ...

يا فرنسا : خفضى من غلوائك ، واذ كرى ما كنت فيه
بالأسس القريب يوم الاحتلال الألماني ، واعلمى أن في بلاد المغرب
يسلاء لا يناسون على ضيم ، قد أجمدروا من سلاة شرف وجماعة ،
وجرت في عروقهم دماء سلاّفهم الأولين الذين جاهدوا في سبيل
إعلاء كلمة الحق وتوفير العزة للمؤمنين

يستمدبون منايام كأنهم لا يياسون من الدنيا إذا قتلا
لا جرم أنه من الخير لفرنسا أن تنظر في سياستها الاستعمارية

القديمة فتتنكب سبيلها ، وترد إلى تلك الشعوب حقوقها ، فبذلك
وحده تبقى السلم ، ويم العالم الأمن ، وإلا فبواعث الحرب قائمة ،
ونذرها ماثلة ، ولن تكف الشعوب المهتزمة عن المطالبة بحقوقها ،
ولن تنى في الجهاد والاستشهاد في سبيل حريتها

إذا غامرت في شرف مرجم فلا تنزع بما دون النجوم
فطم الموت في شىء حقير كطم الموت في شىء عظيم

صلى الله على محمد الطيب

الفتش العام بوزارة المعارف

وكثير من المصنوعات التي نفقت أوروبا كثيراً علماً وعمديناً «
وقال المؤرخ الفرنسي لافاليه في وصف مدينة العرب والمسلمين :
« إنهم في جميع القنون فاقوا المسيحيين ، وبلغوا الدرجة
القصوى في الحضارة ، حينما كان أقرانهم من الأوروبيين هائمين
في أودية الجهالة والوحشية ، فكانوا فوقهم في العلم ومثلهم في
البأس ، وكانوا حكاماً في المجالس أشداء في المآزق »

فكيف يجوز لفرنسا أن تعامل في القرن العشرين أمة مانيتها
المجيد حافل بالمكرات والمآثر معاملة العبيد الأرقاء ، وقد كان
أسلافها بالأمس معلمها ومعلمى سائر الأمم ، كما كانوا ناشري
لواء الحرية والدم في أوروبا وسائر أنحاء الدنيا ؟ وكيف سمح لها
تخميرها الحى ورجدانها اليقظ أن تنكل بالجزائر في شهر مايو الماضى
قتضرب أبناءها ومنمها وقراها بمدافع الطائرات ، وتصب عليها
من سفنها الحربية وابلا من النيران وحما من سمير الجحيم ،
وتسوق الأحرار من بنيا إلى المحاكم فتحكم عليهم بالفناء والموت الزؤام !
ما ذا صنع أولئك المساكين ؟ وما ذا نعم منهم الفرنسيون ؟
لم ينقموا منهم إلا أنهم آمنوا بحقوقهم وشمروا بالظلم القادح بنقض

مبارك بورك في الطول لك فأصبحت أطول من في القلك
ولولا أنماؤك نلت السبا ، ولكن ربك ما عدلك
قلت : مبارك — بضمة واحدة وهو منادى — ولوزن ،

والهمزة في أول العجز في البيت الثاني ، مكنتها في الصدر في السماء .

* ج ١٨ ص ١٣١ : كان ابن دريد قد أملى الجمهرة في فارس

ثم أملاها بالبصرة وبيفناد من حفظه ... فلذلك قلما تتفق النسخ ،

وترأها كثيرة الزيادة والنقصان ، ولما أسلّمه بفارس غلامه

تمكّم من أول الكتاب ، والنسخة التي عليها المولى هي الأخيرة .

قلت : وليأمله ^(١) بفارس علامة تمكّم من أول الكتاب .

* ج ١٦ ص ١٨٤ : والفتح بن خاقان (وزير المتوكل

العباسي) :

أيها العاشق المذب صبراً نخطايا أخى الهوى مفنوره

زفرة في الهوى أحط لذب من غزاة وحاجة مبروره

قلت : حجة بالكسر في التضييع والصحاح واللسان

والقاموس . وفي اللسان : روى عن الأثرم وغيره : ما سمعنا من

المرب حج حجة . وروى عن الكسائي مثل ذلك . وفي النهاية :

الحجة بالفتح المرة الواحدة على القياس . وقال الجوهري الحجة

بالكسر وهو من الشواذ . وفي التاج : فتبين أن الفصلة تعلى

بالوجهين الكسر على الشذوذ . وقال القاضي عياض لا تظن له

في كلامهم ، والفتح على القياس .

قلت : الكسر خير . . . وقد قال الأثرم والكسائي ما قلناه .

ثم استغفر الله من رواية البيهقي .

* ج ٤ ص ٢٣١ : تقدم رجلان إلى القاضي أبي أحمد بن

أبي علان — رحمه الله — فادعى أحدهما على الآخر شيئاً فقال

المدعى عليه : ما له عندي حق . فقال القاضي من هنا ؟ فقالوا :

ابن هارون النحوي المسكوي . فقال القاضي : فأعطه ما أقررت

له به ...

قلت : (ما له عندي حق) بضم اللام ، وقد قلنا عامية ،

فورط المسكين نفسه في بلية . وما كان له — وهو العالم النحوي

النحوي — أن ينطق بغير صحيح . وإني لأتيقن أنه راح يردد

(١) قال القراء : أمليت لفة أهل الحجاز وبني أجد ، وأمليت لفة

بني نعم وقيس ، ونزل القرآن العزيز بالبين ما .

قلت : في (حياة الحيوان الكبرى) للدميري : (مرهوف
النبهة ^(١)) وهي أصح ، وكانت (ملاكها) في طبعة (الوفيات)
(أفلاكها) .

* ج ١٠ ص ٧٧ :

بعناء مُعِينٌ وهو عندي راحة وسم زعاق ، طعمه في فم حلو

قلت : (مُعِينٌ) وهو من (عتي يمتي) في القاموس

في (عتي) : وعناء عان ومُعِينٌ مبالغة . وفي اللسان : وعناء عان

ومعنى كما يقال : شعر شاعر وموت مائت ، قال الأعشى :

لمعرك ما طول هذا الزمن على المرء إلا عناء مُعِينٌ

والبيت الواوي هو لصاحب اللامية التي يقول فيها :

وأما رجل الدنيا وواحدنا من لا يعول في الدنيا على رجل

* ج ٤ ص ٥٤ : وله (لأحمد بن علي الأسواني) تأليف

ونظم ونثر التحق فيها بالأوائل . قتل ظلاماً وعدواناً في عرم

سنة اثنتين وستين وخمائه : وله تصانيف معروفة لغير أهل

مصر ، منها كتاب مُنِيَّةِ الأملى وبلغة المدعى : تشتمل

على علوم كثيرة .

قلت : في الصحاح : والمحرم أول الشهور . وفي الصباح :

أدخلوا عليه الألف واللام لها للصفة في الأصل ، ولا يجوز دخولها

على غيره من الشهور عند قوم وعند قوم يجوز على صفر وشوال .

وفي شفاء الغليل : محرم بدون الألف واللام نصوا على أنه ممنوع

لأنه علم بالنبلة فخرمه اللام أو الإضافة واستعمله ابن الرومي مضافاً

في قوله (محرم الحول في تقدمه) .

وكتاب الأسواني اسمه (أمنية الأملى ومنية المدعى)

وهو مقامة طويلة وصف فيها منفيها عشرين علماً وشرحها ^(٢) .

وقد اختصر هذا الشرح من الأصل مع زيادات في بعض

المواضع « العلامة الكبير المصلح الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري .

* ج ١٧ ص ٩١ : أنشدنا (المحسن بن الحسين العيسى

الزرائق) لنفسه فيه (في مبارك الكاتب) :

(١) رصف البسف كنع برصف رصفاً رصفه كآرصفه فهو مرهوف
وبرصف (التاج)

(٢) الكتاب مخطوط في (المكتبة الخالدة) في بيت المقدس كتبت

سنة ٨٩٤ . وطبع مع شرحه المختصر و « تمة تكمل بها أمية الأملى

وتشتمل على مسائل ، سنة ١٣٢٠

لكل أمر لا رجعة فيه ، وفي النهاية : يقال : بنة وأبنة . وفي المقامة الرملية :

طيرى متى تقرت - عن نخلة وطيقتها بنة بنة
وفي إرشاد الأريب (ج ١٤ ص ٢٢٠) ولئن استفتى الفقهاء
لم يكن عندهم منه إلا التمجيد ، واتصر المصباح على بنة . ونقل
اللسان والتاج كلام الصحاح ولم يدفعا ، وذكر قول سيويه :
« قعد أبنة مصدر مؤكد ، ولا يستعمل إلا بالألف واللام (١) »
ولم يؤيداه .

* ج ١٧ ص ٢٧٣ : ومن شعر (محمد بن أحمد بن حمزة
شرف الكتاب)

أما والعيونُ النجلُ تُسمى نبالها
ولمعُ الثنايا كالبروق تخالها
ومنطفُ الوادي تأرج نشره

وقد زار في جُنح الظلام خيالها (٢)
وقد كان في المجران ما يزع الهوى

ولكن شديد في الطياع انتقالها

قلت : (أما والعيونُ النجلُ تصمى نبالها) (ولمعُ الثنايا
كالبروق تخالها) (ومنطفُ الوادي تأرج نشره) (لقد كان
في المجران ما يزع الهوى) . فالواو واو القسم .

* ج ١٩ ص ١٢٦ : أبو القاسم (محمود بن عزيز المارضي)

ألخوارزمي الملقب (٣) شمس المشرق كان من أفضل الناس في عصره
في علم اللغة والأدب لكنه تخطى إلى علم الفلسفة فصار مفتوناً بها
مفتوناً بين المسلمين . وكان سكوتاً سكوتاً وقوراً يطلع الفقه
وينظر في مسائل الخلاف أحياناً . وكان الزنجشري يدعوه الجاحظ
الثاني لكثرة حفظه وفصاحة لفظه . أقام مدة بخوارزم في خدمة
خوارزم شاه مكرماً ، ثم ارتحل إلى مرو فذبح بها نفسه بيده
في أوائل سنة إحدى وعشرين وخمسة ، ووجد بخطه رقعة فيها :

(١) في الاقتصاب في شرح أدب الكتاب : عول ابن تينبة في هذا
الذي قاله على قول القراء فلذلك قال : بنة بغير ألف ولا م ، وكان سيويه
يقول لا يجوز إلا البنة ، وذكر القراء أنها لتان ، وقد جاء ذلك في بعض
ما خرجه مسلم في الصحيح .

(٢) جنح : بالكسر وضم

(٣) في كتب اللغة : (لقبه بكذا فكتب به) وكتب البر مثل ابن
خلكان وياقوت وطائفة من الأدياب يوردون الثاني كثيراً من الباء .

- وهو يحمل تسجيل القاضي - هذا المثل : « إن البلاء
موكل بالنطق » ويلعن لنة العامة وخطتها - إن كان لها في ذلك
الزمان دعاء ... - لنا كبيراً .

* ج ٤ ص ٦٨ : ولم أزل منذ حرمت التشرف بخدمته
أنطوى على مبايمته ، وأتلفي شوقاً إلى التمسد بخدمة حضرته
التي هي مجمعُ الوفود ، ومطلعُ الجود ، وعصره الحمود .

وجاء في الشرح : (الحمود) في الأصل المنجود ، فأصلحت
إلى ما ذكر .

قلت : وعصرة المنجود . في اللسان : قال أبو زيد :

نادياً يستثيت غير مناث ولقد كان عصرة المنجود
أى كان ملجأ المكروب . وفي الأساس : هو منجود : مكروب .
وتقول : عنده نصره المجهود ، وعصرة المنجود .

و (التمسد) طلب مرعى السعدان . في اللسان : خرج
القوم يتسعدون يطلبون مرعى السعدان ، وهو نبت ذو شوكة ،
وهو من أطيب مرعى الإبل مادام رطباً . وفي المثل مرعى
ولا كالسعدان .

فهو قاس الكاتب وهو « أحمد بن علي الصفار من فضلاء
خوارزم » التمسد على التشرف أم كان الأصل (التيمن برؤية
حضرته) أو الاستماد أو ما شابه ذلك .

* ج ١٧ ص ٢٥١ :

فأيتُ محْتَضِرُ الجوى قلق الحشا

وأظللُ أعْدِرُ في هواكُ وأعْذرُ
وجاء في الشرح : محْتَضِرُ أى كالمحتضر القريب من الموت ،
وأعْدِرُ : أى أقبل عنبري في هواك ، وأعْذرُ مجهول : يقبل مني
العذر .

قلت :

فأيتُ محْتَضِرُ الجوى قلق الحشا

وأظللُ أعْدَلُ في هواكُ وأعْدَرُ
* ج ٥ ص ١١٤ : قال أبو العباس : هذا خطأ البنة .

وجاء في الشرح : في الأصل بنة فجعلتها البنة .

قلت : بنة صحيحة . في الصحاح : لا أفعله بنة ولا أفعله البنة

غامر وراحة متصلة وغبطة دأعة ، حيث لا آفة ولا حاجة ولا
أذى ولا حرة ... فأما إذا كانت الحال على خلاف هذا ، فالشقاء
الذي يتردد فيه .. يكون في وزن ذلك ومقايله .

وجاء في (يتيمة الدهر) لأبي منصور الثعالبي :

لما عاود أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب بخاري من نيسابور ...
وقال من فقد راحته وضيق معاشه قذاة عينه وغصة صدره
استكثر من إنشاد بيتي منصور الفقيه :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا

في الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف
وقال في معناهما :

من كان رجوا أن يعيش فأنى . أصبحت أرجوا أن أموت فأعتقا

في الموت ألف فضيلة لو أنها عرفت لكان سيئه أن يشقا

رواظب على قراءة هذه الآية في آناء ليله ونهاره : (وإذ

قال موسى لقومه : يا قوم ، إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ،

فتوبوا إلى بارئكم ، فاقتلوا أنفسكم) . فقال بعض أصدقائه

إن الله ! قتل أبو أحمد نفسه . فكان الأمر على ما قال ، فقتل

السم فات (١) ! !

قلت : مقالة (الإسلامية) في الانتحار والتحرير بليلة

روى محمد بن اسماعيل في جامعه :

« من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى

فيها خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن تحمى بما كتلت نفسه ، قسه

في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن قتل نفسه

بجديدة ، فجديدة في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً

فيها أبداً (٢) »

والقوم في القرب في هذا الأمر مختلفون ، فمنهم من يجتنب

المنتحر ويضعفه وينتقص خليقته ويمده مسيئاً إلى المجتمع وإلى

(١) قال الثعالبي في حقه : كان أبو أحمد ريب للسهة ، وغنى الدولة ،

وسليل الرياسة ، ومن أول من تأدب وتظرف وبرع وشعر بما وراء

النهر ، وحفاق قرى الشر حذو أهل العراق ، وسار كلامه في الآفاق ..

(٢) كان في الجاهلية الاعتقاد « وهو أن يطلق الرجل يده على نفسه

فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً قال محمد بن أنس : كانوا إذا اشتد بهم

الجوع أغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجر يسلون فيها ليموتوا جوعاً ،

ولتي جارية تبكي فقال لها : مالك ؟ قالت تريد أن تنفذ « (اللسان)

(هذا ما عملته أيدنا فلا يؤاخذ به غيرنا) .

قلت : وكان ساكناً سكوتاً وتوراً ، في الأساس : فلان

ساكن وهادي ووديع . و (سكون) لم أجدها في مكان .

وليس هناك إلا (السكون) حتى من العرب كما قال التاج .

ذكريتي قصة (شمس المشرق) بهذين الخبرين .

جاء في (المقابسات) لأبي حيان التوحيدي :

شاهدنا في هذه الأيام شيخاً من أهل العلم ساءت حاله ،

وضاق رزقه ... فلما توالى عليه هذا دخل يوماً منزله ، ومد جبلا

إلى سقف البيت واختنق به ، وكانت نفسه في ذلك . فلما عرفنا

حاله جزعنا وتوجعنا وتناقلنا حديثه ... فقال بعض الحاضرين :

لله دره ! لقد عمل عمل الرجال : نعم ما أتاه واختاره . هذا يدل

على عزازة النفس وكبر الهمة . لقد خلص نفسه من شقاء كان

طال به ... مع فاقة شديدة ... ووجه كلما أمه أعرض عنه ،

وباب كلما تصده أغلق دونه ، وصديق إذا سأله اعتل عليه . فقيل

لهذا الماذر : إن كان قد تخلص من هذا الذي وصفت على أنه لم

يوقع نفسه في شقاء آخر أعظم مما كان فيه وأهول ... فلمعمرى

نعم ما عمل ! لله أبوه ! ما أجسن ما اهتدي إليه ، وقوى عليه .

ويبنى لكل عاقل أن يدفع إلى ما دفع إليه ... وإن كان قد سمع

يلسان الشريعة ... انتهى عن هذا وأشبهه فقد أتى بما جعل الله به

المقوية والمار ... سبحان الله أما كان يسمع من كل عاقل ...

ومن كل من يرجع إلى مسكة ... النهى عن مثله والزجر عن

ركوب ما هو دونه بكثير . فكيف لم يتهم نفسه ، ولم يتعجب

رأيه ، ولم يشاور نصيحاً له ... لأنه أمر متى ركب بالظن والتوهم

الذين لم يؤيدا ببصيرة من عقل ولا عرضاً على عاقل ، ثم استبان له

في الثاني ... خطأ ما عمل فانه التلافي ولم يمكنه الاستدراك ...

وقد قضى النقل قضاء جزماً ، وأوجب النظر إيجاباً حتماً أنه يجب

الافتراق الإنسان بين هذه الأجزاء المتلحمة والأعضاء المتلصقة ،

وليس هو رابطها ، ولا هو على الحقيقة مالكتها ، بل هو ساكن

في هذا الهيكل لمن أسكنه فيه ، وجعل عليه أجرة السكنى بمهارة

المسكن وحفظه ونقيته وإصلاحه وتصريفه على ما يبينه على طلب

السعادة في العاجل والآجل . وكان سمي مقصوراً على التزود إلى

ميراً صدق ، ولا بد له من المصير إليه والمقام فيه ... على خير